نصائــح وتوجيهـات المرجعيـــة الدينيـة العليا للمقاتلين في ساحات الجهاد بعد سقوط الموصل٢٠١٤_٢٠١٧

م.م. حسون عبود محيبس
الجامعة العراقية / كلية الآداب

المقدمة:

تصاعد دور المرجعية الدينية العليا وبشكل لافت للنظر بعد دخول تنظيم داعش الإرهابي للعراق وسيطرته على أجزاء مهمة في الموصل والانبار وكركوك وصلاح الدين، ولاسيما فتوى الجهاد الكفائي لصد التنظيمات الإرهابية والدفاع عن الوطن والمقدسات, لهذا كانت فتوى الجهاد الكفائي القوة الرادعة التي لم يتوقعها داعش والقوة التي تحتضن فكره, لاسيما وانها كانت مباركة بولادة تشكيل شعبي (الحشد الشعبي) ,الذي تشكل من مختلف اطياف الشعب العراقي وجمع كل المكونات , وسطر اعظم ملاحم العز والتضحية والفداء واصبح ذراع فعال من تشكيلات القوات المسلحة العراقية.

تعاملت المرجعية الدينية العليا مع المقاتلين والمتطوعين بما عرف عنها ابوية الجميع ,لهذا تذكر المقاتلين الابطال ان تضحياتهم الجسيمة في سبيل الحفاظ على سلامة المدنيين وممتلكاتهم التي جعلتها عصابات داعش دروعا بشرية لحمايتهم من صولاتكم ,لن تذهب سدى ,بل تشكل اساسا متينا لوحدة هذا البلاد ارضا وشعبا, وهم من يرسمون مستقبل مشرق للامة لينعم الاجيال بالاستقرار والامن والامان بفضل دمائهم, كما طالبت المرجعية الدينية العليا من القيادات العسكرية بتحقيق اعلى درجات التنسيق والعمل المنظم مع القيادة العامة للقوات المسلحة في سير العلميات العسكرية حفاظا على وحدة الصف وقوة الجهد العسكري وعدم تشتت وبعثرت القوات عبر قرارات فردية او اختلاف يضعف عزيمة المقاتلين والمتطوعين, لهذا كانت المرجعية الدينية العليا تطالب بتوفير كل مستلزمات وعدة النصر وسلامة المقاتلين والمتطوعين والاشادة بتضحياتهم حتى انها عبرت عن المقاتلين بانهم احبة لها(هؤلاء المقاتلين احباء المرجعية الدينية العليا), واتخذت المرجعية الدينية العليا دور الموجهة والمرشد والناصح والمشخص

والمشجع للقيادات السياسية ومطالبتها بتوفير متطلبات النصر وادامة صمود المقاتلين والمتطوعين ,كما اوصت المقاتلين بكافة صنوفهم ومسمياتهم بالإيثار والتضحية والصمود والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة وسلامة الاهالي الذين اصبحوا رهائن بيد عصابات داعش.

قسمت هذه الدراسة الى مبحثين :الأول تحت عنوان, موقف المرجعية الدينية العليا من تداعيات سقوط الموصل وصدور فتوى الجهاد الكفائي مع مجموعة من النصائح المستمرة طيلة المنازلة لتخفيف معاناة النازحين التصدي للشائعات تنظيم عمل المتطوعين وصدور قانون الحشد الشعبي , و المبحث الثاني حمل عنوان, نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية العليا للمقاتلين واشتمل على ٢٠ نصيحة وجهت للمقاتلين عام,٢٠١٥ باعتبارها خارطة طريق للعمل الصحيح مع ابناء شعبهم.

المبحث الاول: موقف المرجعية الدينية العليا من سقوط مدينة الموصل

اعلن مجلس الوزراء العراقي في ١٠ حزيران ٢٠١٤ حالة تأهب قصوى في العراق, بعد سيطرت عصابات داعش على مدينة الموصل في تدهور امني خطير يهدد النسيج الاجتماعي التعايش السلمي في المدينة العراق اجمع, كما طالب العراق المنظمات الدولية بما في ذلك الامم المتحدة والجامعة العربية والاتحاد الاوربي وغيرها تأييد العراق ودعم موقفه في مكافحة الارهاب وتحمل مسؤولياتها بإقرار السلم والامن الدوليين[١], واعلن رئيس البرلمان أسامة النجيفي إن محافظة نينوى سقطت في أيدي العصابات الاجرامية (داعش) بسبب انهيار معنويات القوات العراقية وهربها من ساحة القتال. وحذر أن العراق "يتعرض لغزو خارجي" وان الوقت حان لاعتماد الحل السياسي للأزمة في العراق، داعيا المجتمع الدولي إلى تحمل مسؤولياته لإنقاذ البلاد من التفكك[٢].

ساهمت القنوات الفضائية التي تمولها الحكومة العراقية بدور كبير في سقوط المدينة واحتلالها بيد مسلحي تنظيم (الدولة الإسلامية) وذلك من خلال التغطيات المباشرة والأخبار الملفقة, فعلى سبيل المثال قناة (سما الموصل) حكومية وتحرّض ضد الجيش

وتتبنى شعارات طائفية وتحريضية لشحن الشارع ضد الحكومة الاتحادية وكذلك رفع شعارات إلغاء الدستور وإسقاط الحكومة, لهذا استطاع المئات من عصابات تنظيم "داعش" الارهابي مع خلايا نائمة تنتظر ساعة الصفر ان يسيطرون بالكامل على مدينة الموصل، وانهزمت القيادات السياسية والأمنية والقوات الرسمية التي تقدر بثلاث فرق من الجيش والشرطة (ما بين ٤٠-٥٠ ألف مقاتل) مجهزة بأحدث ما أنتجته مصانع السلاح الأميركي، والتي أصيبت بـ"انهيار أمني كامل" حسب تعبير وزارة الخارجية الأميركية [٣].

نقل الباحث يونس عباس عن احد التقارير التي تناول سقوط الموصل وهو تقرير وكالة رويترز البريطانية وقالت فيه: ان اغلب المسلحين هم من تنظيم الدولة الاسلامية "داعش" , وان معنويات القوات المسلحة في ادنى مستوياتها, وان الانسحاب والهروب كان امر لا مفر منه فالمعركة محسومة لصالح الارهابيين وليست قضية انسحاب قطعات وقادة, وان كان لها دور محوري واساس, والمعنويات المنهارة نتيجة تراكمات لسنوات من الفساد الاداري الذي نخر القوات المسلحة وعن طريق جنى الكثير من القادة الاموال على حساب المراتب الاخرى, كذلك النقص في الاعداد الكافية التي يجب توافرها في النقاط العسكرية المنتشرة في الموصل وخير مثال اللواء السادس من الفرقة الثالثة الذي تعداده على الورق ٥٠٠ مقاتل وعلى الارض لم يتعدى ٥٠٠ مقاتلا, وكذلك عرج التقرير على موقف الحكومة كونها لم تتعامل بحزم وقوة وصرامة مع المعلومات الاستخبارية واعتمدت بشكل تام على القوات المتواجدة في الموصل[٤].

تجاهلت المنظومة السياسية العراقية تحذير المرجعية العليا من ظاهرة الفساد التي تنخر جسد الدولة العراقية و مؤسساتها اذا ربط سماحة المرجع الاعلى بين البناء الطائفي للدولة والمحاصصة والعنف في الواقع منذ البداية ,وقد اكد ان تفشي الفساد واساءة استعمال السلطة من لدن المسؤولين الحكوميين يمهد السبيل للإرهاب او ربما ما هو اسوأ .وقد صرح لمراسل وكالة فرانس برس في العام ٢٠٠٥ قائلا:" اليوم اذا لم يتحقق الاصلاح الحقيقي من خلال مكافحة الفساد بلا رحمة وتحقيق العدالة الاجتماعية على

مختلف المستويات, فمن المتوقع ان تزداد الظروف سوءا, وقد ينجر البلاد الى التقسيم وما شابه لا سامح الله" [٥].

استشعرت المرجعيّة العليا ممثّلة بشخص السيد علي السيستاني - دام ظلّه الوارف - خطر عصابات تنظيم (داعش) الارهابي ودخوله إلى الموصل ومناطق أخرى تقدّر بثلث مساحة العراق ,وابتلاعها بمدة وجيزة وبمساعدة محلية واقليمية ودولية ، و التداعيات التي قد تنجم عن توسع هذا التنظيم الإرهابي ومن سقوط الموصل ومحافظتي الرمادي وصلاح الدين بأقل من ـ ٧٢ ـ ساعة,بيد عناصر متطرفة دموية، بادرت بإصدار فتوى الدفاع الكفائي التي حثّت كلّ قادر على حمل السلاح, وتحت عنوان رئيسي نشرت جريدة الصباح "المرجعية الدينية تعلن الجهاد الكفائي" .

وجهت المرجعية الدينية العليا المواطنين الذين يتمكّنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم للتطوّع والانخراط في القوات الأمنية، جاء هذا خلال خطبة الجمعة (١٣حزيران ٢٠١٤م) في الصحن الحسيني الشريف، والتي كانت بإمامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، والتي جاء فيها:

"إنّ الأوضاع التي يمرّ بها العراق ومواطنوه خطيرة جداً، ولابُدّ أن يكون لدينا وعي بعمق المسؤولية الملقاة على عاتقنا أنّها مسؤولية شرعية ووطنية كبيرة، وإنّ العراق وشعب العراق يواجه تحدّياً كبيراً وخطراً عظيماً وإنّ الإرهابيين لا يستهدفون السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط بل صرّحوا بأنّهم يستهدفون جميع المحافظات، ولا سيّما بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف، فهم يستهدفون كلّ العراقيين وفي جميع مناطقهم ومن هنا فإنّ مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا يختصّ بطائفةٍ دون أخرى أو بطرفٍ دون آخر... انّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي بحيث يتحقّق الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته[٦].

احدثت فتوى الجهاد الكفائي صدمة قاسية وغير محسوبة لتنظيم داعش الارهابي الذي استطاع تحقيق بعض المكاسب العسكرية على الارض, نتيجة لوهن وتخبط مرحلي في بعض الحسابات العسكرية والسياسية ذلك الوهن الذي ادى لسقوط الموصل في سيناريو ما يزال مريبا ولم تُكشف خيوط ملابساته لحد الان(٧).

ثمنت المرجعية العليا انتصارات القوت المسلحة والحشد الشعبي وطالبت بالحذر الشديد من نوايا العصابات الاجرامية "داعش" ,وتهديده للعديد من المناطق لاسيما المقدسة القريبة من مدينة بغداد لهذا قالت في خطبة صلاة الجمعة ٢ كانون الاول ٢٠١٤: "لقد تحقّقت للقوات المسلحة ومن التحق بهم من المتطوّعين انتصاراتٌ مهمة في بعض المناطق خلال المدة الماضية، إلّا أنّ عصابات داعش -كما تعلمون- لا تزال تُسيطر على مناطق كبيرة وتهدّد بعض المناطق المهمّة ومنها مدنٌ تقع فيها مراقد مقدّسة كسامراء وبلد، ومن هنا فإنّ المطلوب من القوات المقاتلة عدم الاطمئنان والركون إلى الانتصارات المتحقّقة بحيث تتولّد من ذلك حالةٌ من التراخي والشعور بالأمان، بل لابدّ من استمرار اليقظة والحذر في مواجهة هذه العصابات الإرهابية، كما أنّ المطلوب من الجهات الحكومية المعنية أن تضع خططاً مدروسةً لاستعادة المناطق التي لا تزال تحت سيطرة داعش، ودفع الخطر عن المناطق التي تهدّدها بما يحقّق الأمن لهذه المناطق وتوفّر الطمأنينة لأهاليها، بعيداً عمّا يتسبّب في التوتّر والشحن الطائفي، إنّ تخليص المناطق التي ترزح تحت جور داعش ودفع الخطر عن المناطق التي تهدّدها يجب أن يتمّ بأسلوبٍ يحقّق الهدف المنشود وهو تحقيق الاستقرار لجميع المناطق والأمن والطمأنينة لجميع العراقيّين باختلاف مذاهبهم و قومياتهم(٨) .

ابتغت المرجعية الدينية العليا اعادة الثقة للمواطن بقدرات قواته المسلحة وتعزيز قدراتها البشرية واللوجستية لاسيما بعد خذلان قادتها وخيانة بعد افرادها لا سباب طائفية, وعرقية وسياسية, وقد ابلاء المتطوعين بلاء حسنا في ايقاف زحف عصابات داعش واخذ زمام المبادرة في الهجوم وازاحة الخطر عن العاصمة بغداد بفضل الفتوى الكفائي وايمان ابناء الشعب.

النازحين:

اولت المرجعية العليا اهتمام مباشرة بالنازحين من ابناء الشعب العراقي وطالبت الحكومة بتخفيف معانتهم لهذا كانت خطبة صلاة الجمعة ٢٧ حزيران ٢٠١٤ :" في ظلّ الأوضاع المزرية والصعبة جداً التي يعيشها النازحون من مختلف مناطق القتال، فإنّنا ندعو المنظمات الدولية والمحلية المعنية بالإغاثة الى الإسراع بإغاثة هذه العوائل التي يزداد عددُها يوماً بعد يوم، والتي تعيش محنة إنسانية صعبة وقاسية، كما ندعو جميع المواطنين الى الوقوف مع هذه العوائل الموقف الإنساني الذي يتناسب مع حجم المأساة التي تعيشها هذه العوائل، وذلك بإغاثتهم بكلّ ما يمكن وتوفير المأوى والطعام والاحتياجات الأخرى"[٩] .

واعادة كلامها للحكومة العراقية والاقليم مطلبها بإغاثة النازحين في خطبة ٤ تموز ٢٠١٤:" "إنّ الحكومة الاتحادية تتحمّل مسؤوليةً كبيرةً تجاه هؤلاء المهجرين والنازحين، كما أنّ حكومة إقليم كردستان والحكومة المحلية مدعوّة لبذل المزيد من الاهتمام بهم، فإنّ هؤلاء المواطنين يجب أن تتوفّر لهم فرصة العودة إلى مناطق سكناهم بعد استتباب الأمن والسلام فيها، ولا يجوز أن يُستَغَلّ تهجيرهم ونزوحهم عن مناطقهم أن يكون مدخلاً لأي تغييرات ديمغرافية في تلك المناطق"[١٠] .

لهذا تشير دراسة دولية ان المنظمة الدولية للهجرة قدرت عدد سكان العراق النازحين داخليا بفعل العلميات العسكرية والحرب على الارهاب عام ٢٠١٨ بمليونين ونصف المليون نسمة. ثلاث ارباع هذا العدد من السنة العرب ٦٧٪, و٦٪ كرد, ١٤٪ من الشيعة العرب والتركمان والشبك,٨٪ من اليزيديين, ٣٪ مسيحيون[١١].

تكرر خطاب المرجعية العليا وبح صوتها من اجل معالجة قضية النازحين وتوفير مستلزمات العيش الكريم وحمايتهم من الاستغلال السياسي او الاقتصادي والظروف القاسية شتاء وصيف لهذا كان لها موقف في خطبة الجمعة ,١٨,٢٥ تموز ,٢٩ اب و١٠تشرين الاول ٢٠١٤ وغيرها من سنوات ٢٠١٥و ٢٠١٦ و ٢٠١٧.

تقديرا من المرجعية العليا للأبطال من ابناء الشعب العراقي ومواكب الدعم اللوجستي التي اقتسمت الرغيف مع المقاتل والنازح قال السيد احمد الصافي في خطبة الجمعة ١٣اذار ٢٠١٥ "هنالك جنود مجهولون في الخطوط الامامية فالمقاتل يرى جميع الاحتياجات متوفرة من الذين أنفقوا بلا منة، ورأينا بعض أصحاب المواكب يصلون الى السواتر قبل المقاتلين وهذه صور مشرقة ومشرفة ومن حقنا الافتخار بها, ولفت ممثل المرجعية العليا الى ان "المجتمعات عندما تتكافل وتتكاتف فيما بينها فانه يؤسس بداخل المجتمع حالة من التضامن ويحاول كل واحد منه تخفيف الاعباء على الاخر وهذه الحالة المجتمعية حالة رقي وتمدن وتحضر"[١٢].

شكل مكتب المرجعية الدينية العليا لجنة اغاثة طبية وغذائية ومالية, و تقديم الدعم اللوجستي للنازحين, كما شكلت العتبة الحسينية والعباسية خلية ازمة واغاثة تتطلق من النجف وكربلاء وباقي المحافظات العراقية الى مدينة الموصل ومناطق القتال الاخرى لدعم النازحين والمقاتلين وتوفير مستلزمات العيش والنصر والتحرير, اذ قدمت لجنة اغاثة مكتب المرجعية العليا في قافلة واحدة ٥٠٠٠ سلة غذائية و٤٠٠٠ بطانية للنازحين, بينما قدم موكب العتبة الحسينية ٦٠٠٠ وجبة كاملة تتكون من ٢٠ مادة غذائية والبطانيات لكل عائلة نازحة استجابة لنداء المرجعية العليا[١٣] .

الشائعات:

لعبت الحرب النفسية والشائعات دورا كبيرا في سقوط الموصل وما بعدها, لاسيما بعد التطور التقني الهائل والثورة المعلوماتية التي حدثت في العالم واصبح قرية واحدة بلا حدود ,لهذا استخدم التنظيم الارهابي "داعش" الصورة والفلم ومواقع التواصل الاجتماعي للتأثير على روحية وثبات وصبر المواطن والمقاتل, فاستخدمها لبث الرعب والخوف تمهيدا لهجومه على هذه المنطقة او تلك وهذا ما حذرت منه المرجعية الدينية العليا في اكثر من خطبة من خطب صلاة الجمعة في كربلاء المقدسة ففي (١٧تشرين الأول ٢٠١٤م)، وقال ممثلها:" لوحظ أنّ بعض وسائل الإعلام أطلقت حملةً حاولت من خلالها الإيحاء للرأي العام العراقي باحتمالية سقوط بعض مدن العراق المهمة بأيدي

هذه العصابات وتعرّض العاصمة الحبيبة بغداد للخطر، وهنا نودّ أن نؤكّد على المواطنين جميعاً بأن يكونوا على حذرٍ ووعي تامٍ من الأهداف الحقيقية التي تقف خلف هذه الحملة الإعلامية، وأهمّها هو إدخال الخوف والرعب في النفوس وإضعاف معنويات القوات المسلحة العراقية والمتطوعين، وتوهين عزيمتهم وإرادتهم على القتال بعد الانتصارات الملموسة التي حقّقوها في عدّة مناطق"(١٤).

طالبت المرجعية الجهات المختصة باتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة اعلام عصابات داعش الارهابية عندما قالت في خطبة صلاة الجمعة ٣ تشرين الاول ٢٠١٤:" إنّ اعتماد الجماعات الإرهابية لأسلوب الإشاعات والأخبار الكاذبة في محاولةٍ منها لبثّ الذعر والرعب في قلوب المقاتلين، يتطلّب من الجهات ذات العلاقة أن تطوِّر أساليب عملها وتضع آلية مناسبة للتحرّك السريع لفتح خطوط الإمداد للقطعات العسكرية متى أغلق شيء منها، وكذلك لابدّ من أن لا يسمح للإشاعات والأخبار الكاذبة أن تنال من عزائم المقاتلين بل يتمّ تعزيز معنوياتهم وشحذ هممهم بالأساليب المناسبة لذلك، ومن أهمّها تواصل القادة العسكريين معهم ميدانياً وحثّهم على الصبر والصمود والتوكّل على الله تعالى وتذكيرهم بنتائج ذلك من المدن التي قاتلت لعدة أشهر على الرغم من قلّة سلاحها وعتادها ومؤونتها كمدينة آمرلي وغيرها"(١٥).

ذكر خطيب صلاة الجمعة بأهمية رفع الروح المعنوية للمقاتلين بقوله في خطبة صلاة الجمعة ١ ايار ٢٠١٥:" إنّ الحفاظ على الانتصارات العسكرية وإدامة زخم الاندفاع المعنويّ للمقاتلين وإسناده برصيدٍ متجدّد من التعبئة النفسية لعموم المواطنين، يقتضي التفات وتنبّه الأجهزة الأمنية والإعلامية الى خطورة أساليب التضليل الإعلاميّ والحرب النفسية التي تعتمدها عصاباتُ داعش، خصوصاً ما يتعلّق بالتركيز على عنصر إدخال الرعب والخوف في قلوب المقاتلين والمواطنين من خلال نشر بعض الأكاذيب ومشاهد القتل الوحشية ونحو ذلك، ولابُدّ من اتّباع منهجٍ مهنيّ لمواجهة هذه الأساليب ومن ذلك مواكبة الأحداث الأمنية بحسب وقائعها ساعةً بساعة"(١٦) .

شخصت المرجعية العليا في خطبة صلاة الجمعة تأثير الشائعات على نفسية المقاتلين وانهزامية بعض القادة واستسلامه للأعلام المظلل بلا وعي او ادراك بتلاعبه بمشاعر ووجدان الفرد لهذا قالت في ٢٢ ايار ٢٠١٥:" إنّ ما حدث في الأيام القليلة في بعض مناطق العراق لم يكن قتالاً شديداً فإنّه قد حدث ما هو أقوى منه وكانت الغلبةُ للجيش والإخوة المتطوّعين، لكنّ الذي حدث أخيراً هو التأثّر في الإشاعة بطريقةٍ أدّت الى تصوير الوضع أكثر من حجمه الطبيعيّ وقد أثّر ذلك على نفسيّة بعض المقاتلين، إنّ الحربَ النفسيّةَ سلاحٌ من أسلحة المعركة ولابُدّ من التعامل معه بمهنيةٍ عاليةٍ ولابُدّ من أن تتهيّأ جميع أنواع التعبئة اللازمة لها، ... إنّ الدماء العزيزة التي تُراق لابُدّ أن تزيد من العزيمة والقوّة، إنّ الإشاعة سلاحٌ فتّاك لابُدّ من التعامل معه بحذر ولعلّ من جملة أسباب تصديق الإشاعة هو عدم وجود القيادات العسكرية في ميدان القتال، إذ لو كانوا موجودين لما انطلَتْ عليهم هذه الحيل الجبانة" [١٧].

توثيق النصر:

دعت المرجعية العليا الجميع الى عدم اهمال جرائم عصابات "داعش" الارهابية ضد كل مكونات الشعب العراقي وتهديم دور العبادة واثار العراق فقال ممثلها يوم ٢٥ تموز ٢٠١٤:" كما ندعو الجهات الحكومية والمنظمات الدولية ومنظمات المجتمع المدني المعنية بالجرائم ضد الإنسانية الى توثيق الاعتداءات والانتهاكات والجرائم التي ترتكبها عناصر الإرهابيين الغرباء ضدّ المواطنين في مختلف المحافظات وتهديم دور العبادة والمراقد الدينية وغير ذلك ممّا يوضح الطبيعة الإجرامية والمنافية للدين والأعراف الإنسانية لهؤلاء المعتدين"[١٨] .

ثمنت المرجعية العليا انتصارات ابطال القوات المسلحة والحشد الشعبي وطالبت ان توثق العلميات العسكرية بأيديهم خوفا مما يحدثه وعاظ السلاطين في المستقبل وقد ذكر السيد أحمد الصافي، اثناء خطبة صلاة الجمعة في كربلاء في ٢٠١٥/٣/١٣ " اننا نكتب تاريخنا بدماء شهدائنا وجرحانا في المعارك التي نخوضها اليوم ضد الارهابيين وقد امتزجت دماء مكونات الشعب العراقي بجميع طوائفهم وقومياتهم. وأود ان أؤكد مرة اخرى

على ضرورة حفظ هذا التاريخ الناصع من خلال التوثيق لكل جزئيات الاحداث خوفاً من التضييع او التبديل ومن حق الاجيال القادمة ان تطلع على تاريخنا وأن تقرأه واضحاً وصادقاً كما قرأنا نحن تاريخ اسلافنا"[١٩].

اهتمت المرجعية الدينية العليا بكل تفاصيل النصر عسكريا ومدنيا وشعبيا وعدم التفريط بالتفاصيل فكانت تطالب الجميع بتوثيق النصر بكل منجزاته العسكرية والانسانية من اجل حرمان الاقلام المأجورة التي بدأت بتزوير الحقائق واتهام ابطال القوات المسلحة بمختلف التهم الطائفية الاخلاقية بدعم اقليمي كبير.

تشكيل الحشد الشعبي:

دعت المرجعية العليا الى تنظيم صفوف المتطوعين وزجهم ضمن تشكيلات القوات المسلحة والامنية, كما حذرت من السلاح المنفلت وحصره بالدولة فقط والتشكيلات المسلحة التي لا تلتزم بالقانون , وضمان حقوق المتطوعين المالية والقانونية تكريما لهذه الثلة التي دافعت عن العراق وشعبه وتركت عوائل وارض ومصالح ,فحقهم على حكومتهم تنظيم اوضاعهم بشكل لائق.

لهذا كانت المرجعية العليا توضح الية دعوتها للجهاد فقالت في خطبة صلاة الجمعة ٢٠ حزيران ٢٠١٤:" إنّ دعوة المرجعية الدينية إنّما كانت للانخراط في القوات الأمنية الرسمية، وليس لتشكيل مليشيات مسلّحة خارج إطار القانون، فإنّ موقفها المبدئي من ضرورة حصر السلاح بيد الحكومة واضحاً، ومنذ سقوط النظام السابق، فلا يتوهّم أحد أنّها تؤيد أيّ تنظيم مسلح غير مرخّص به بموجب القانون، وعلى الجهات ذات العلاقة أن تمنع المظاهر المسلحة غير القانونية، وأن تبادر الى تنظيم عملية التطوع وتعلن عن ضوابط محدّدة لمن تحتاج اليهم القوات المسلحة والأجهزة الأمنية الأخرى"[٢٠] .

حذرت من السلاح الخارج عن سياق الحكومة وحصره بالقانون فقالت في ٢٧ حزيران ٢٠١٤:" نؤكّد مرة أخرى على ضرورة تنظيم عملية التطوّع وإدراج المتطوّعين ضمن تشكيلات الجيش والقوات الرسمية وعدم السماح بحمل السلاح بصورة غير قانونية، وبهذه المناسبة نجدّد الشكر والتقدير للقوّات العسكرية والأمنية ومن التَحَقَ بهم من

المتطوّعين الذي يخوضون معارك ضارية ضدّ الإرهابيين الغرباء من أجل الحفاظ على بلدنا وشعبنا بجميع مكوّناته وطوائفه، سائلين العليّ القدير أن يحميهم وينصرهم على عدوّهم"[٢١] .

كانت فتوى المرجعية هي الزخم المعنوي الذي غذّى المتطوعين والقوات المسلحة العراقية لاستدامة المعركة وديمومتها وقوتها، اذ غيّر ميزان القوى، وجعلت للحشد الشعبي غطاءً شرعياً، فتشير الإحداثيات بأنّ فتوى السيد السيستاني أنقذت العراق من السقوط والانهيار. وبموجب القانون الجديد" قانون الحشد الشعبي. رقم ٤٠ لسنة ٢٠١٦ يكون الحد الشعبي تشكيلا مستقلا وجزء من القوات المسلحة العراقية ويرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة" ،وبهذا تعد "فصائل وتشكيلات الحشد الشعبي كيانات قانونية تتمتع بالحقوق وتلتزم بالواجبات باعتبارها قوة رديفة وساندة للقوات الأمنية العراقية ولها الحق في الحفاظ على هويتها وخصوصيتها ما دام لا يشكل ذلك تهديداً للأمن الوطني العراقي" وأصبح الحشدُ الشعبيَّ جزءاً من القوات النظامية المسلحَّة العراقية بعد إقرار قانون هيأة الحشد الشعبي وتصويت البرلمان العراقي عليه بأغلبية الأصوات في ٢٠١٦\١١\٢٦ ومصادقة رئاسة الجمهورية في يوم السبت تشرين الثاني ٢٠١٦[٢٢] .

الأسباب الموجبة

تكريماً لكل من تطوع من مختلف أبناء الشعب العراقي دفاعا عن العراق في حفظ الدولة العراقية من هجمة الدواعش وكل من يعادي العراق ونظامه الجديد والذين كان لهم الفضل في رد المؤامرات المختلفة ومن اجل حفظ السلاح بيد القوات المسلحة والأمنية العراقية وتحت القانون وتعزيز هيبة الدولة وحفظ أمنها وجعل السلاح بيد الدولة فقط ... فعظمة وأهمية هذه التوصيات تكمن في دور المرجعية الدينية تجاه المقاتلين وتحصينهم من الوقوع في الشبهات، فضلاً عن المحرمات؛ لكرامة المعركة التي يخوضونها في الدفاع عن المقدسات[٢٣].

عدت تجربة الحشد الشعبي أنموذجا منيرا وفريدا لتلاحم مختلف اطياف الشعب العراقي لردع الخطر الاتي من خلف الحدود لتمزيق والنسيج الاجتماعي للبلاد وتقسيم

جغرافيته السياسية لمطامع دولية و اقليمية ,ازلت واماطت الستار لمن كان على اينهم غشاوة[٢٤].

الشكر والعرفان للمقاتلين:

قال الشيخ عبد المهدي الكربلائي خلال خطبة الجمعة الثانية ٣ حزيران ٢٠١٦ م ما نصه :يشارك في هذه الايام الآلاف من اخواننا واحبتنا في القوات المسلحة ومن يساندهم من المتطوعين وابناء العشائر في معارك ضارية لتخليص مناطق من محافظة الانبار من سطوة الارهاب الداعشي". عبّرت المرجعية الدينية العليا عن المقاتلين بأنهم أحبة لها (هؤلاء المقاتلون أحباء المرجعية الدينية العليا"[٢٥]. وهو تقدير واستحقاق وثقة كبيرة للأبطال في القوات المسلحة والحشد الشعبي الذي استطاع افشال مخطط التقسيم الاعتداء على المقدسات, عبرت المرجعية العليا عن شكرها وامتنانها الى ابطال القوات المسلحة والحشد الشعبي صناع النصر والحياة الذين قدموا حياتهم قربانا للعراق وكانوا الادة التي صفعت الارهاب وحررت الارض من دنسه فقالت لهم:

"ان المرجعية الدينية العليا صاحبة فتوى الدفاع الكفائي التي سخّرت كل امكاناتها وطاقاتها في سبيل إسناد المقاتلين وتقديم العون لهم، وبعثت بخيرة ابنائها من اساتذة وطلاب الحوزة العلمية الى الجبهات دعماً للقوات المقاتلة وقدمت العشرات منهم شهداء في هذا الطريق، لا ترى لاحدٍ فضلاً يداني فضلكم ولا مجداً يرقى الى مجدكم في تحقيق هذا الانجاز التاريخي المهم، فلولا استجابتكم الواسعة لفتوى المرجعية وندائها واندفاعكم البطولي الى جبهات القتال وصمودكم الاسطوري فيها بما يزيد على ثلاثة اعوام لما تحقق هذا النصر المبين، فالنصر منكم ولكم واليكم وأنتم أهله وأصحابه فهنيئاً لكم به، وهنيئاً لشعبكم بكم[٢٦] .

ادركت وشخّصت المرجعية الدينية العليا المشكلة بشكلٍ جليّ بالبصيرة الالهية، وبعد أن جاءتنا غيمةٌ سوداء تطمح الى اعادة العراق الى حقبة انظمة الاستبداد والظلم والطائفية, وتحمل في طيّاتها الأحقاد وكلّ ما يوصف بالجهل, لاسيما وان الشعب العراقي مارس العديد من حقوقه المدنية كالانتخابات والدستور والطقوس والشعائر

الدينية بحرية واستقلال وكان للمرجعية العليا دورا مهما في ذلك, وان دفع تضحيات جسيمة بسببها, وكانت المشكلة واقعاً تحتاج من يشخّصها ويقف في وجهها، لهذا صدرت من ازقة النجف الاشرف الفتوى المقدّسة للدفاع عن العراق وشعبه ومقدساته, وبها تحقق التلاحم المجتمعي لكل مكوناته المذهبية والقومية, التكافل الاجتماعي من قبل ابنا الجنوب والوسط اذ انطلقت قوافل الاغاثة الى اهالي مدن الانبار وتكريت والموصل وغيرها لتخفيف معاناة النازحين, وببركتها تم تشكيل الحشد الشعبي مفخرة المنظومة العسكرية العراقية التي ابهرت العالم بالانضباط العالي والروحية الكبيرة . ومنها اعلن العراق النصر والتحرير على عصابات داعش الارهابية.

المبحث الثاني : نصائح وتوجيهات المرجعية الدينية العليا للمقاتلين ٢٠١٥

أهتمت المرجعية الدينية بالثقافة الدينية للمقاتلين والمتطوعين شرعياً, وفكرياً, وروحياً, ووطنياً من اجل الاستعداد التام للقتال ضد عدو ظلامي استطاع ان يسيطر على عقول الكثير من ابناء مجتمع المناطق التي سيطر عليها, وتغذيته بالفكر الإقصائي, لهذا كانت النصائح والارشادات تعكس رؤية المرجعية العليا التي اصدرتها بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٥ في سياق وتحفيز وشرح أليات الجهاد واهميته والقواعد الشريعة له ,وقد وضحها السيد احمد الصافي خلال خطبة صلاة الجمعة التي اقيمت في الصحن الحسيني الشريف, ومنها اهمية حفظ النفس المحترمة في اشد ظروف القتال, وسلامة السكان المدنيين من مختلف الاديان والمذاهب والقوميات, دعوة الجهاد كانت لكل العراقيين ومن اجل تحرير كل العراق ومنع التعرض لكل العراقيين .فكانت النصائح والتوجيهات تحتوي على فقرات دينية ووطنية وانسانية يجب ان يحسن المقاتل التعامل معها والتقيد بالنصوص الواردة فيها كونها دستور اخلاقيا للجميع, لاسيما وان اقلام مأجورة وقنوات اعلامية معادية للعراق بدأت تنظم حملة كبرى للتقليل من اهمية انتصارات القوات المسلحة والمتطوعين.

شرحت الفقرة الاولى للمقاتل ادب الجهاد التي اوجبتها الشريعة المقدسة اذا نصت الفقرة(١) على :" أنّ الله سبحانه وتعالى ـ كما ندب الى الجهاد ودعا إليه وجعله دعامةً

من دعائم الدين وفضّل المجاهدين على القاعدين ـ فإنّه عزّ اسمه جعل له حدوداً وآداباً أوجبتها الحكمة واقتضتها الفطرة، يلزم تفقهها ومراعاتها، فمن رعاها حق رعايتها أوجب له ما قدّره من فضله وسنّه من بركاته، ومن أخلّ بها أحبط من أجره ولم يبلغ به أمله"[٢٧] .

كانت المرجعية تولي اهتماما بالغاً برعاية مكونات الشعب العراقي فكانت الفقرة(٢)تنص على :" للجهاد آدابٌ عامّة لابدّ من مراعاتها حتى مع غير المسلمين، وقد كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يوصي بها أصحابه قبل أن يبعثهم إلى القتال"[٢٨].

لا يختلف اثنان في أن الضغط السياسي والأمني وكبت الحريات وانعدام الأمن والاستقرار والحروب والقتل على الهوية والتغيرات السياسية وغيرها من الأمور والدوافع الرئيسية وراء الهجرة القسرية، اذ دفع الكثير من أبناء الأقليات (الشبك والمسيحيين واليزيدين) للهجرة من مدينة الموصل إلى سهل نينوى، بحثاً عن مناطق أكثر أمناً وخالٍ من العنف والاضطهاد والظلم وسياسة التطهير العرقي والمذهبي وغير ذلك[٢٩].

لم تترك المرجعية العليا امرا الا وحذرت المقاتلين منه, لهذا ذكرت في خطبة صلاة الجمعة وعبر ممثلها في كربلاء بتاريخ ٢١تموز ٢٠١٧ " إنّ الحفاظ على الأرواح البريئة من الأطفال والنساء والشيوخ هي مهمّةٌ أساسيّة ولها الأولويّة، وكما قلنا سابقاً إنّ إنقاذ الأبرياء والحفاظ على حياتهم أفضل من قتل المعتدي الإرهابي، لذا نهيب بالإخوة الأعزّاء والمقاتلين الغيارى أن يجعلوا هذا الهدف السامي أمامهم، كما صنعوا فعلاً في المعارك السابقة وبذلوا قصارى جهدهم للحفاظ عليهم، حتى ولو كان العدوّ يتّخذهم دروعاً له "[٣٠]. الكفيل وهذا متضمنته الفقرة (٣_٤) من التوجيهات اذا قالت:" كما أنّ للقتال مع البغاة والمحاربين من المسلمين واضرابهم أخلاقاً وآداباً أُثرت عن الإمام علي (عليه السلام) في مثل هذه المواقف ، مما جرت عليه سيرته وأوصى به أصحابه في خطبه وأقواله، وقد أجمعت الأمّة على الأخذ بها وجعلتها حجّة فيما بينها وبين ربّها ، فعليكم بالتأسي به والأخذ بمنهجه"[٣١]. مصدر " فالله الله في النفوس، فلا يُستحلّن التعرّض لها

بغير ما أحلّه الله تعالى في حال من الاحوال، فما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة وما أعظم الحسنة بوقايتها وإحيائها، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه، وإنّ لقتل النفس البريئة آثاراً خطيرة في هذه الحياة وما بعدها فإن وجدتم حالة مشتبهة تخشون فيها المكيدة بكم ، فقدّموا التحذير بالقول أو بالرمي الذي لا يصيب الهدف أو لا يؤدّي إلى الهلاك، معذرةً إلى ربّكم واحتياطاً على النفوس البريئة"[٣٢] .مصدر

توسعت المرجعية الدينية العليا في توضيح اهمية حفظ النفس وعدم الاعتداء على الممتلكات والابتعاد عن الثأر والانتقام حتى في اصعب مواقف الحرب وتداخلها ما بين المدني والمقاتل المعتدي اذ نصت على ذلك في خطبة صلاة الجمعة بتاريخ ١١ تموز ٢٠١٤ :." لقد أوضحنا أكثر من مرّة أنّ الدعوة للتطوّع في صفوف القوّات العسكرية والأمنية العراقية إنّما كانت لغرض حماية العراقيين من مختلف الطوائف والأعراق وحماية أعراضهم ومقدّساتهم من الإرهابيّين الغرباء.

"ومن هنا نؤكّد على جميع المقاتلين في القوات المسلحة ومن التَحَقَ بهم من المتطوّعين الذين نشيد بشجاعتهم وبسالتهم في الدفاع عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم، نؤكّد عليهم جميعاً ضرورة الالتزام التام والصارم برعاية حقوق المواطنين جميعاً وعدم التجاوز على أيّ مواطن بريء مهما كان انتماؤه المذهبي أو العرقي وأيّاً كان موقفه السياسي،... فالحذرَ الحذرَ من التسبّب في إراقة قطرة دم إنسانٍ بريء أو التعدّي على شيء من أمواله وممتلكاته"[٣٣].

وهذا ما كان من مضمون الفقرة خامسا وسادساً من نصائح المرجعية الدينية العليا:" الله الله في حرمات عامّة الناس ممن لم يقاتلوكم، لاسيّما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء، حتّى إذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم ، فإنّه لا تحلّ حرمات من قاتلوا غير ما كان معهم من أموالهم..." الله الله في اتهام الناس في دينهم نكاية بهم واستباحةً لحرماتهم ، كما وقع فيه الخوارج في العصر الأول وتبعه في هذا العصر قوم من غير أهل الفقه في الدين، تأثراً بمزاجياتهم وأهوائهم وبرّروه ببعض النصوص التي تشابهت عليهم، فعظم ابتلاء المسلمين بهم[٣٤] . مصدر

يبدو ان الاعتداءات والتهديدات التي تعرضت لها هذه الأقليات من قبل التنظيم الارهابي "داعش" أجبرتها على النزوح من موطنها الأصلي في الموصل، وقامت الجماعات الارهابية بعد ذلك بالاستيلاء على دورهم ومعابدهم ومصادرتها، ورافقت ذلك عملية محو كل آثار وتراث هذه الأقليات عن مناطقهم الأصلية, فالهجرة كانت لأسباب طائفية (١٠٠٪)[٣٥].

رغبت المرجعية الدينية العليا بان يستشعر العراقيين ان المقاتلين والمتطوعين هم اخوة لهم ولا ترغب ان يساورهم شك بتصرفات بعضهم لهذا ذكرت في خطبة صلام الجمعة بتاريخ ٢٥ تموز ٢٠١٤:" تتعاظم جرائم الإرهابيين في المناطق التي استولوا عليها في محافظة نينوى وغيرها، وكان من آخرها استهداف المواطنين المسيحيين بإجبارهم على ترك مساكنهم ومصادرة جميع ممتلكاتهم حتى أخذوا من النساء مصوغاتهن الذهبية وهنّ بصدد الخروج من مدينة الموصل"[٣٦],فتصدت الرجعية الدينية لهذه الاوضاع الشاذة ووجهت المقاتلين بما يلي في الفقرة(٧): " وإياكم والتعرّض لغير المسلمين أيّاً كان دينه ومذهبه فإنّهم في كنف المسلمين وأمانهم، فمن تعرّض لحرماتهم كان خائناً غادراً، وإنّ الخيانة والغدر لهي أقبح الأفعال في قضاء الفطرة ودين الله سبحانه،... بل لا ينبغي ان يسمح المسلمُ بانتهاك حرُمات غير المسلمين ممّن هم في رعاية المسلمين، بل عليه أن تكون له من الغيرة عليهم مثل ما يكون له على أهله"[٣٧]. مصدر

تهتز مشاعر الانسان لحدث ما, لهذا حذرت المرجعية العليا من بعض التصرفات الفردية الغاضبة التي تسئ الى المثل للجهاد, ويستخدمها اعداء العراق لتشويه صورة ابطال النصر لهذا قالت في خطبة صلاة الجمعة بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٤:" مؤكّدين في نفس الوقت على مراعاة جميع الحقوق وعدم المساس بها وعدم التعدي على أيّ شخصٍ بريء في ماله أو في دمه مهما تكن الاسباب والذرائع وفي جميع الحالات "[٣٨], وبينت المرجعية الدينية العليا نصحا وتوجيه في فقراتها ٨_٩_١٠ما يلي[٣٩]:

٨- الله الله في أموال الناس، فإنه لا يحل مال امرئ مسلم لغيره إلاّ بطيب نفسه ، فمن استولى على مال غيره غصباً فإنّما حاز قطعة من قطع النيران،

٩ ـ الله الله في الحرمات كلّها، فإيّاكم والتعرّض لها أو انتهاك شيء منها بلسان أو يد ، واحذروا أخذ امرئ بذنب غيره،...، ولا تأخذوا بالظنّة وتشبهوه على أنفسكم بالحزم ، فإنّ الحزم احتياط المرء في أمره، والظنة اعتداء على الغير بغير حجّة، ولا يحملنّكم بغض من تكرهونه على تجاوز حرماته

١٠ ـ ولا تمنعوا قوماً من حقوقهم وإن أبغضوكم ما لم يقاتلوكم.

تكرر توجيه المرجعية الدينية العليا في مراعاة المعايير الإنسانية والإسلامية في تعاملهم مع الجميع، فلابُدّ من الفرز بين المعتدي المقاتل والمواطن الذي لا دخل له في ذلك، فإنّما هدف القتال الحفاظ على الهوية الوطنية والإنسانية والحضارية للشعب فكانت الفقرة(١١_١٢) تتضمن:" واعلموا أنّ أكثر من يقاتلكم إنّما وقع في الشبهة بتضليل آخرين ، فلا تعينوا هؤلاء المضلّين بما يوجب قوّة الشبهة في أذهان الناس حتّى ينقلبوا أنصاراً لهم، بل ادرؤوها بحسن تصرّفكم ونصحكم واخذكم بالعدل والصفح في موضعه، وتجنب الظلم والإساءة والعدوان، فإنّ من درأ شبهة عن ذهن امرئ فكأنّه أحياه ، ومن أوقع امرئ في شبهة من غير عذر فكأنه قتله"[٤٠].

اما الفقرة(١٢) فنصت :" ولا يظنّن أحدٌ أن في الجور علاجاً لما لا يتعالج بالعدل، فإنّ ذلك ينشأُ عن ملاحظة بعض الوقائع بنظرة عاجلة إليها من غير انتباه إلى عواقب الأمور ونتائجها في المدى المتوسط والبعيد، ولا إطّلاع على سنن الحياة وتاريخ الأمم ، حيث ينبّه ذلك على عظيم ما يخلفه الظلم من شحنٍ للنفوس ومشاعر العداء مما يهدّ المجتمع هدّاً،... وفي أحداث التاريخ المعاصر عبرةٌ للمتأمل فيها ، حيث نهج بعض الحكّام ظلم الناس تثبيتاً لدعائم ملكهم، واضطهدوا مئات الآلاف من الناس ، فأتاهم الله سبحانه من حيث لم يحتسبوا حتّى كأنّهم أزالوا ملكهم بأيديهم"[٤١]

طالبت المرجعية العليا ان يتحلى المقاتل برباطة جاش وثبات وشجاعة وصبر وهذا ما تحدث به خطيب صلاة الجمة بتاريخ ١٢٦\ايلول ٢٠١٤\:" إنّ المعركة تتطلّب رباطة جأش وثبات قدم من قبل أفراد الجيش والقوات الأمنية والحشد الشعبي والتحلّي بروح الشجاعة والصبر على مقاتلة المجرمين وعدم ترك المواقع مهما كانت الظروف، بل القتال

بقوة وبسالة إذ أنّ المهمة مقدسة ونبيلة وهي الدفاع عن العراق العزيز وعن العراقيين جميعاً، بلا فرق بين قومياتهم وطوائفهم لذا فلابدّ أن لا تضعف الهمم ولا تملّ النفوس فقليلٌ من الصبر ومن الجهد ومن المرابطة يتبعها نصرٌ إن شاء الله تعالى، ومن كانت معركته مقدسة لابدّ أن تكون معنوياته قوية وعالية وروحه لا ترهب ولا تعرف للجبن مكاناً"[٤٢].فأكدت في الفقرات(١٣_١٤_١٥_١٦_١٧):

١٣ ـ ولئن كان في بعض التثبّت وضبط النفس وإتمام الحجّة ـ رعاية للموازين والقيم النبيلة ـ بعض الخسارة العاجلة أحياناً فإنّه أكثر بركة وأحمد عاقبة وأرجى نتاجاً،..

١٤ . ـ وكونوا لمن قِبَلكم من الناس حماة ناصحين حتى يأمنوا جانبكم ويعينوكم على عدوّكم ، بل أعينوا ضعفاءهم ما استطعتم، فإنّهم إخوانكم وأهاليكم، واشفقوا عليهم فيما تشفقون في مثله على ذويكم، واعلموا أنّكم بعين الله سبحانه، يحصي أفعالكم ويعلم نياتكم ويختبر احوالكم.

١٥ ـ ولا يفوتنكم الاهتمام بصلواتكم المفروضة، فما وفد امرئٌ على الله سبحانه بعمل يكون خيراً من الصلاة، وإنّ الصلاة لهي الأدب الذي يتأدّب الانسان مع خالقه والتحية التي يؤديها تجاهه، وهي دعامة الدين ومناط قبول الأعمال، وقد خففها الله سبحانه بحسب مقتضيات الخوف والقتال، حتى قد يكتفى في حال الانشغال في طول الوقت بالقتال بالتكبيرة عن كل ركعة ولو لم يكن المرء مستقبلاً للقبلة... على أنه سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بأن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم ولا يجتمعوا للصلاة جميعاً بل يتناوبوا فيها حيطةً لهم.

١٦ ـ واستعينوا على أنفسكم بكثرة ذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه واذكروا لقاءكم به ومنقلبكم اليه،

١٧ ـ واحرصوا أعانكم الله على أن تعملوا بخُلُق النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) مع الآخرين في الحرب والسلم جميعاً، حتّى تكونوا للإسلام زيناً ولقيمه مَثَلاً ،فإنّ هذا الدين بُنِيَ على ضياء الفطرة وشهادة العقل ورجاحة الأخلاق ، ويكفي منبّهاً على ذلك أنه رفع راية التعقل والأخلاق الفاضلة، فهو يرتكز في أصوله على الدعوة

إلى التأمل والتفكير في أبعاد هذه الحياة وآفاقها ثم الاعتبار بها والعمل بموجبها كما يرتكز في نظامه التشريعي على إثارة دفائن العقول وقواعد الفطرة ، وإياكم والتشبّث ببعض ما تشابه من الاحداث والنصوص فإنّها لو ردّت إلى الذين يستنبطونه من أهل العلم ـ كما أمر الله سبحانه ـ لعلموا سبيلها ومغزاها[٤٣].

حذرت المرجعية العليا المقاتلين من اساليب التنظيم الارهابي "داعش" اذ يستخدم اسلوب محاصرة القطعات والاعلام لبث الخوف والذعر في صفوف المقاتلين والمدنيين اذا قال خطيب صلاة الجمعة بتاريخ ١٣\تشرين الاول\٢٠١٤:" إنّ اعتماد الجماعات الإرهابية لأسلوب محاصرة بعض وحدات القوات المقاتلة وعزلها عن خطوط الإمداد ثم محاولة القضاء عليها، وأيضاً استخدام هذه الجماعات لأسلوب الإشاعات والأخبار الكاذبة في محاولةٍ منها لبثّ الذعر والرعب في قلوب المقاتلين، يتطلّب من الجهات ذات العلاقة أن تطوّر أساليب عملها وتضع آلية مناسبة للتحرّك السريع لفتح خطوط الإمداد للقطعات العسكرية متى أغلق شيء منها، وكذلك لابدّ من أن لا يسمح للإشاعات والأخبار الكاذبة أن تنال من عزائم المقاتلين بل يتمّ تعزيز معنوياتهم وشحذ هممهم بالأساليب المناسبة لذلك، ومن أهمّها تواصل القادة العسكريين معهم ميدانياً وحثّهم على الصبر والصمود والتوكّل على الله تعالى"[٤٤].

يبدو ان المرجعية العليا تحاول جاهدة ان تحافظ على سلامة المقاتل وانضباطه وعدم التهور في حربه مع العصابات الارهابية فكانت الوصايا (١٨_١٩)تتناول هذه الحالات:" إيّاكم والتسرّع في مواقع الحذر فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة، فإنّ أكثر ما يراهن عليه عدوّكم هو استرسالكم في مواقع الحذر بغير تروٍّ واندفاعكم من غير تحوّط ومهنيّة، واهتموا بتنظيم صفوفكم والتنسيق بين خطواتكم ، ولا تتعجّلوا في خطوةٍ قبل إنضاجها وإحكامها وتوفير ادواتها و مقتضياتها وضمان الثبات عليها والتمسك بنتائجها" ،والفقرة (١٩) تضمنت:" هذا وينبغي لمن قِبَلكم من الناس ممّن يتترس بهم عدوّكم أن يكونوا ناصحين لحماتهم يقدّرون تضحياتهم ويبعدون الأذى عنهم ولا

يثيرون الظنة بأنفسهم ، فإنّ الله سبحانه لم يجعل لأحدٍ على آخر حقّاً إلاّ وجعل لذاك عليه حقّاً مثله ، فلكلّ مثل ما عليه بالمعروف".

واعلموا أنكم لا تجدون أنصح من بعضكم لبعض إذا تصافيتم واجتمعتم فيما بينكم بالمعروف حتى وان اقتضى الصفح والتجاوز عن بعض الأخطاء بل الخطايا وإن كانت جليلة ، فمن ظّن غريباً أنصح له من أهله وعشيرته وأهل بلده ووالاه من دونهم فقد توهّم(٤٥).

من الانعكاسات الايجابية التي ترتبت على سقوط الموصل ومن ثم تحريرها هو تعزيز مفهوم الوحدة الوطنية العراقية بين كل ابناء الشعب, فالخطر كان يهدد كيان الدولة العراقية ونسيجها الاجتماعي المتنوع دون تميز, لذلك ساهم في الدفاع وفتوى الجهاد كل مكونات العراق دون استثناء, وذهب هاجس التحسس والريبة الي خلقته قنوات وصحف صفراء مسمومة, لكن التلاحم والتعاضد المجتمعي في محاربة العصابات الاجرامية "داعش" قد قلبت الموازين وحفزت مشاعر الاخوة الواحدة, لهذا يستحسن على الحكومة العراقية ان توظف هذه اللحمة الوطنية بشكل ايجابي وهي تجربة لها اثار مميزة مستقبلاً (٤٦).لهذا طالبت المرجعية العليا المقاتلين بالابتعاد عن العصبية والقبلية والمصالح الشخصية والتحلي بالأخلاق العالية مع الجميع فكانت الفقرة الاخيرة(٢٠) توصي بما يلي:" وعلى الجميع أن يدعوا العصبيات الذميمة ويتمسّكوا بمكارم الأخلاق، فإنّ الله جعل الناس أقواماً وشعوباً ليتعارفوا وتبادلوا المنافع ويكون بعضهم عوناً للبعض الآخر , فلا تغلبنّكم الأفكار الضيقة والانانيات الشخصيّة، وقد علمتم ما حلّ بكم وبعامّة المسلمين في سائر بلادهم حتّى أصبحت طاقاتهم وقواهم وأموالهم وثرواتهم تُهدر في ضرب بعضهم لبعض، بدلاً من استثمارها في مجال تطوير العلوم واستنماء النعم وصلاح أحوال الناس. فاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصّة، أمّا وقد وقعت الفتنة فحاولوا إطفاءها وتجنّبوا إذكاءها واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، واعلموا أنّ الله إن يعلم في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم، إنّ الله على كلّ شيءٍ قدير(٤٧).

رسمت النصائح للمقاتلين خارطة طريق ناصعة واضحة لنقاء هدفهم في الجهاد من اجل تحرير العراق كل العراق من دنس الغرباء والمعتدين القادمين من خارج الحدود ومن احتضن فكرهم ووفر لهم الغطاء السياسي والمالي والعسكري لغايات متعددة وارتبط بأجندة اقليمية او دولية لا فشال العملية السياسية الجديدة في العراق لهذا اشتملت النصائح على غايات انسانية مميزة تتطابق كل قوانين حقوق الانسان الدولية ومواثيق الامم المتحدة والاعراف الامية بل كانت تنهل من معين الاديان السماوية مفرداتها في جمع الكلمة ومساعدة الجميع بلا تميز في دين او مذهب او عرق وحرمة الاعتداء على الابرياء او اهالي المغرر بهم او مصادرة ممتلكاتهم بل طالبت بالتاني او ضبط النفس في حالات استخدم المدنيين دروعا بشرية وان عطل حركة النصر واستحقاق المعركة , النصائح تعد كراس عالمي من شخصية روحية تحظى باحترام كل العراقيين والعالم يستلزم الاهتمام به ونشر فضائله .

الخاتمة

تراعي المرجعية العليا في خطابها للامة من خلال خطب صلاة الجمعة في كربلاء المقدسة المواضيع التي لها تأثير مباشر وتداعيات خطيرة على الوضع الداخلي للبلاد وتمس امن واقتصاد وحياة المواطن العراقي بشكل مباشر ويترتب عليها نتائج وخيمة ان اهملت دون معالجة حقيقة لهذا تكرر المرجعية العليا هذا المطلب في اكثر من خطبة, تسرد للمقاتلين الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة وسير الائمة الاطهار من اجل الاقتداء والعظة والعبرة والسير بنهجهم القويم .

استهدفت المرجعية العليا في اكثر من خطبة تخفيف معاناة النازحين, عندما تلمس تجاهل وبطئ في الالتفات الى المطلب الذي تحدثت به المرجعية او الاستجابة دون المستوى المطلوب لاسيما مطالب الاهتمام بشريحة عوائل وحقوق الشهداء والجرحى وتوفير مستلزمات النصر وحفظ السيادة وعدم التدخل بالشأن العراقي وحماية النازحين والمهجرين من المعاناة والاجواء القاسية شتاء وصيفا فالمرجعية العليا تمارس دور الارشاد والتوجيه والنصح بلا سلطة تنفيذية قالت بحت اصواتنا.

تميزت النصائح بالدقة وحسن الاختيار للموضوعات التي تتناسب مع مجريات المعارك الطاحنة واستغلال العصابات الاجرامية للمدنيين واستخدامهم كدروع بشرية احيانا وعلى المقاتل حسن التعامل مع عوائل مقاتلي "داعش" وعدم التعرض للممتلكات كونها تخص العوائل, مما يدلل على سمو اخلاقي عظيم ,وابعاد الشحن الطائفي والضغائن عن نفوس اهالي المناطق المحتلة تجاه المقاتلين, فالمرجعية العليا امتدا لخط اهل البيت ع في التعامل الانساني مع الاخر مهما كان دينه او مذهبه او عرقه.

كانت النصائح تتنوع ما بين الشرعية والانسانية والوطنية التي تبين للمقاتل شروط وشرعية وضوابط الجهاد , واهمية تحرير الانسان قبل الارض التي احتلت من قبل الغرباء المعتدين القادمين عبر الحدود ,وكانت تهتم بحقوق الاقليات الدينية العراقية واحترام مقدساتهم وصيانة حرمتها, حتى وصفت من يخالف ذلك بالخائن والغادر وعمله يعد اقبح الافعال.

اظهرت التوصيات ان المرجعية الدينية العليا ترعي كل المعاهدات والمواثيق الدولية باطار اسلامي شامل مستمدة قوتها من الشريعة السمحة, فلا تقبل التعرض للمخالف وكبار السن والنساء وان كان في ذلك خطر على المقاتل وتنصحه ان يبتعد عن الشبهات ,لاسيما وان اهالي المناطق المحتلة قد غرر بهم الفكر التكفيري, واهمية مواجهة هذا الفكر بعد التحرير بطرق علمية منهجية صحيحة ,وتوجه المقاتلين ان يكونوا زينا لها .

الهوامش:

(١). جريدة الصباح, العدد ٣١٢٩, ٢٠١٤\٦\١١

(٢). https://www.bbc.com/arabic/middleeast/٢٠١٤/٠٦/١٤٠٦١٠_iraq_mosul_hq

(٣) https://www.aljazeera.net/encyclopedia/military/٢٠١٥/٨/١٩

(٤). يونس عباس نعمة ,التغطية الاعلامية لسقوط مدينة الموصل, قراءة في اهم التقارير الاجنبية التي تناولت المضوع للمدة ٩_١٢ حزيران ٢٠١٤, مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية, العدد ٤٨,ايلول ٢٠٢٠,ص٨٨٨. للمزيد على اسباب سقوط الموصل وخفايا واسرار سيطرة عصابات داعش ينظر:كرار انور البديري, سقوط الموصل العراق ومحصلة الاعباء الخارجية ,دجلة للنشر والتوزيع,عمان,٢٠١٦. وكذلك مع الكثير من التحفظ على ما ورد من اتهامات لقيادات سياسية وعسكرية لا سباب طائفية وصراع سياسي معهم ينظر: كتاب محافظة الموصل السابق. اثيل النجيفي ,وسقطت الموصل اثيل النجيفي ساردا الخفايا والوقائع, موسسة وشان,لندن ,٢٠١٩. وللأهمية الاطلاع على

دور الكثير من الدول الاقليمية في دعم عصابات داعش ينظر: محمد جاسم الحريري, الدور الخليجي في العراق دراسة حالة احداث الموصل ٢٠١٤, دار الجنان للنشر والتوزيع,عمان,٢٠١٦.

(٥). كارولين مرجعي الصائغ, المرجعية الدينية الموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣,ت: نصر محمد علي, مركز الرافدين للحوار , بيروت, لبنان, ٢٠٢٠ ,ص١٠٤.

(٦).جريدة الصباح ,العدد ٣١٣١ ,بغداد,٢٠١٤.

(٧). https://www.non١٤.net/public/٦٢٢٢٩

(٨). https://alkafeel.net//inspiredfriday/index.php?id=١٩٠&ser=٢&lang=ar

(٩). مجلة الاحرار, العدد ٤٤٤, العتبة الحسينية المقدسة,كربلاء,٢٠١٤,ص٥.

(١٠).عام على الفتوى خطب الجمعة الثانية التي القيت من على منبر الجمعة في الصحن الحسيني الشريف, دار الوارث للطباعة والنشر,كربلاء,٢٠١٥,ص١٧.

(١١). ان وينسكون, اشراك القيادات الدينية العراقية في عملية السلام والمصالحة خلال مرحلة مابعد داعش,معهد الويات المتحدة للسلام,٢٠١٩,ص٩.

(١٢). https://ar.hawzahnews.com/news/٣٥٩٦٠٤

(١٣).نشرة الموقف,العدد ٢٠_٢١, العتبة الحسينية المقدسة,كربلاء,٢٠١٦,ص ص ٤٤_٤٥.

(١٤).جريدة الصباح, العدد ٣٢٢٥,بغداد, ٢٠١٤.

(١٥). https://alkafeel.net//inspiredfriday/index.php?id=١٨٠&ser=١&lang=ar

(١٦). نشرة الموقف,العدد٢, العتبة الحسينية المقدسة, كربلاء,ايار ٢٠١٥,ص ٦.

(١٧). عام على الفتوى خطب الجمعة الثانية التي القيت من على منبر الجمعة في الصحن الحسيني الشريف, المصدر السابق,ص١٦٧ . للمزيد عن خطورة الشائعات وسقوط الموصل ينظر: لؤي مجيد حسن, الشائعات وسقوط الموصل دراسة في انواع الشائعات التي رافقت سقوط المدينة والاجراءات الحكومية ,مجلة ادأب المستنصرية, العدد ٧٣, لسنة ٢٠١٦.

(١٨). عام على الفتوى خطب الجمعة الثانية التي القيت من على منبر الجمعة في الصحن الحسيني الشريف, المصدر السابق,ص٢٦.

(١٩). https://alkafeel.net//inspiredfriday/index.php?id=٢٠٣&ser=١&lang=ar

(٢٠). جريدة الصباح, العدد ٣١٣٧,بغداد, حزيران٢٠١٤.

(٢١). جريدة الصباح, العدد ٣١٤٣,بغداد,حزيران ٢٠١٤.

(٢٢). الوقائع العراقية, وزارة العدل العراقية, السنة الثامنة والخمسون, العدد ٤٤٢٩, كانون الاول ٢٠١٦, ص٣.

(٢٣).المصدر نفسه ,ص٥.

(٢٤). خالد جعفر مبارك و عبد الكريم جعفر الكشفي, فتاوى المرجعية واثرها على الامن السلمي في العراق, مهرجان فتوى الجهاد المقدس الثقافي الاول , العتبة العباسية المقدسة ,قسم الشؤون الفكرية والثقافية, ص١١.

(٢٥). https://alkafeel.net//inspiredfriday/index.php?id=٢٧٠&ser=١&lang=ar

(٢٦). خطب الجمعة توثيق وتحقيق ٢٠١٧(١٤٣٨_١٤٣٩هـ),العتبة العباسية المقدسة,مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات, المجلد الثالث عشر,ج٢ ,٢٠١٩,ص٣٢٠.

(٢٧).اهل الثغور,نشرة اسبوعية,قسم الشؤون الفكرية والثقافية,العتبة العباسية المقدسة,العدد ٢٨, نيسان ٢٠١٥,ص٢.

(٢٨). المصدر نفسه ,ص٢.

(٢٩).اسعد مقداد ال حسين واخرون, تحليل اسباب الهجرة القسرية للأقليات من مدينة الموصل الى سهل نينوى للفترة ٢٠٠٤_٢٠١٣,مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية, العدد ٣ ,ص١٩٤.

(٣٠). خطب صلاة الجمعة للعام الثالث بعد فتوى الجهاد الكفائي, اعداد :سامي جواد كاظم, قسم الاعلام_شعبة النشر وحدة التدوين والتوثيق,٢٠٢١,ص٢١٢.

(٣١). https://www.sistani.org/arabic/archive/٢٥٠٣٤

(٣٢). اهل الثغور,المصدر السابق,ص٢.

(٣٣). عام على الفتوى خطب الجمعة الثانية التي القيت من على منبر الجمعة في الصحن الحسيني الشريف,المصدر السابق,المصدر السابق,ص٢٠.

(٣٤). جريدة الصباح, العدد ٣٣١٩,بغداد,شباط ٢٠١٥.

(٣٥). اسعد مقداد ال حسين واخرون, المصدر السابق,ص٩١.

(٣٦). https://alkafeel.net//inspiredfriday/index.php?id=١٧٠&ser=١&lang=ar

(٣٧). نشرة الموقف,العدد١٥, العتبة الحسينية المقدسة,كربلاء,حزيران ٢٠١٦,ص ٣٢_٣٢.

(٣٨). https://alkafeel.net//inspiredfriday/index.php?id=١٨٧&ser=١&lang=ar

(٣٩). نشرة الموقف, المصدر السابق, العدد٢,ص ٥٠.

(٤٠). اهل الثغور,المصدر السابق,ص٢.

(٤١). https://www.sistani.org/arabic/archive/٢٥٠٣٤

(٤٢). https://alkafeel.net//inspiredfriday/index.php?id=١٧٩&ser=١&lang=ar

(٤٣). الاحرار , كربلاء العتبة الحسينية المقدسة, العدد٤٧٧, السنة العاشرة , ٢٠١٥ ,ص٩.

(٤٤). https://alkafeel.net//inspiredfriday/index.php?id=١٨٠&ser=٢&l

(٤٥). الاحرار , المصدر السابق, العدد٤٧٧,ص٩.

(٤٦)سعدي ابراهيم حسن, سقوط الموصل : الاسباب والانعكاسات والمعالجات,مجلة السياسية والدولية ,الجامعة المستنصرية,العدد ٤١_٤٢, ٢٠١٩,ص٦١٠.

(٤٧) https://www.sistani.org/arabic/archive/٢٥٠٣٤/.

المصادر:

١.اثيل النجيفي ,وسقطت الموصل اثيل النجيفي ساردا الخفايا والوقائع, موسسة وشان, لندن ,٢٠١٩.

٢.ان وينسكون, اشراك القيادات الدينية العراقية في عملية السلام والمصالحة خلال مرحلة مابعد داعش,معهد الويات المتحدة للسلام,٢٠١٩.

٣.خطب الجمعة توثيق وتحقيق ٢٠١٧(١٤٣٨_١٤٣٩هـ),العتبة العباسية المقدسة,مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات, المجلد الثالث عشر,ج٢ ,٢٠١٩.

٤.خطب صلاة الجمعة للعام الثالث بعد فتوى الجهاد الكفائي, اعداد :سامي جواد كاظم, قسم الاعلام_شعبة النشر وحدة التدوين والتوثيق,٢٠٢١.

٥.عام على الفتوى خطب الجمعة الثانية التي القيت من على منبر الجمعة في الصحن الحسيني الشريف, دار الوارث للطباعة والنشر,كربلاء,٢٠١٥.

٦.كارولين مرجعي الصائغ, المرجعية الدينية الموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣,ت: نصر محمد علي, مركز الرافدين للحوار , بيروت, لبنان, ٢٠٢٠.

٧.كرار انور البديري, سقوط الموصل العراق ومحصلة الاعباء الخارجية ,دجلة للنشر والتوزيع,عمان,٢٠١٦.

٨.محمد جاسم الحريري, الدور الخليجي في العراق دراسة حالة احداث الموصل ٢٠١٤, دار الجنان للنشر والتوزيع,عمان,٢٠١٦.

البحوث والدراسات:

١.اسعد مقداد ال حسين واخرون, تحليل اسباب الهجرة القسرية للأقليات من مدينة الموصل الى سهل نينوى للفترة ٢٠٠٤_٢٠١٣,مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية, العدد٣.

٢.خالد جعفر مبارك و عبد الكريم جعفر الكشفي, فتاوى المرجعية واثرها على الامن السلمي في العراق, مهرجان فتوى الجهاد المقدس الثقافي الاول , العتبة العباسية المقدسة ,قسم الشؤون الفكرية والثقافية.

٣.سعدي ابراهيم حسن, سقوط الموصل : الاسباب والانعكاسات والمعالجات,مجلة السياسية والدولية ,الجامعة المستنصرية,العدد ٤١_٤٢, ٢٠١٩.
٤.لؤي مجيد حسن, الشائعات وسقوط الموصل دراسة في انواع الشائعات التي رافقت سقوط المدينة والاجراءات الحكومية ,مجلة ادأب المستنصرية, العدد ٧٣, لسنة ٢٠١٦.
٥.يونس عباس نعمة ,التغطية الاعلامية لسقوط مدينة الموصل, قراءة في اهم التقارير الاجنبية التي تناولت المضوع للمدة ٩_١٢ حزيران ٢٠١٤, مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية, العدد ٤٨,ايلول ٢٠٢٠.

المواقع الالكترونية:

https://www.sistani.org/arabic/archive/٢٥٠٣
https://www.non١٤.net/public/٦٢٢٢٩
https://alkafeel.net//inspiredfriday/index.php?id=١٩٠&ser=٢&lang=ar
https://alkafeel.net//inspiredfriday/index.php?id=١٨٠&ser=١&lang=ar
https://www.bbc.com/arabic/middleeast/٢٠١٤/٠٦/١٤٠٦١٠_iraq_mosul_hq
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/military/٢٠١٥/٨/١٩
https://ar.hawzahnews.com/news/٣٥٩٦٠٤

الصحف والمجلات:

١.جريدة الصباح, العدد ٣١٢٩,بغداد, ٢٠١٤.
٢.جريدة الصباح ,العدد٣١٣١ ,بغداد,٢٠١٤.
٣.جريدة الصباح, العدد ٣١٣٧,بغداد, حزيران٢٠١٤.
٤.جريدة الصباح, العدد ٣١٤٣,بغداد,حزيران ٢٠١٤.
٥.جريدة الصباح, العدد ٣٣١٩,بغداد,شباط ٢٠١٥.
١. الوقائع العراقية, وزارة العدل العراقية, السنة الثامنة والخمسون, العدد ٤٤٢٩, كانون الاول ٢٠١٦.
٢.نشرة الموقف,العدد ٢٠_٢١, العتبة الحسينية المقدسة,كربلاء,٢٠١٦.
٣.نشرة الموقف,العدد٢, العتبة الحسينية المقدسة, كربلاء,ايار ٢٠١٥.

٤.نشرة الموقف,العدد١٥, العتبة الحسينية المقدسة,كربلاء,حزيران٢٠١٦.
٥.الاحرار , كربلاء العتبة الحسينية المقدسة, العدد٤٧٧, السنة العاشرة , ٢٠١٥.
٦.مجلة الاحرار, العدد ٤٤٤, العتبة الحسينية المقدسة,كربلاء,٢٠١٤.
٧.اهل الثغور,نشرة اسبوعية,قسم الشؤون الفكرية والثقافية,العتبة العباسية المقدسة,العدد ٢٨, نيسان ٢٠١٥.